وقدم لها دواتين وقلمين من الذهب مهداة من مهاجري حاصبيا في البرازيل وساعتي مكتب مهداتين من متخرجي جامعة بيروت في القاهرة رمزاً الى الوقت الذي قضياهُ في خدمة العلم وقصيدة بليغة مكتوبة بماء الذهب بخط بديع نظمها وكتبها حضرة نجيب بك هواويني

ثم قال وكنت اود بعد ذلك ان تنتهي مهمتي ولكن متخرجي الجامعة الاميركية في بيروت كلفوني ان اقول عنهم كلمة واشار الى نشأة المقتطف في ابريل من سنة ١٨٧٦ وكيف حسدهُ الحاسدون واخذوا يكيدون لهُ فاضطر صاحباهُ الى الهجرة به الى مصر عند ما بلغ التاسعة من عمرهِ وقال ان مصر هي ملجأ الاحرار من ايام يوسف الصديق و يوسف وبريم فاظلتهُ بظلها حتى اكتهل فيها. وعاد بالذكرى الى وصف احوال مصر خاصة والشرق عامة منذ خمسين سنة وذكر كيف انهُ لم يكن يوجد اذ ذاك غير تسع صحف اما اليوم فيبلغ عدد الصحف في مصر وسورية نحو ٢٥٠ صحيفة وكيف ان عدد المتعلمين زاد في مصر عما كان عليهِ منذ خمسين سنة الى غير ذلك من مرافق الحياة وتساءل عن العامل في هذا الرقي وقال ان العوامل عديدة ولكن الصحافة من اهمها وللمقتطف شأن كبير في ذلك فقد حارب الخرافات ومبادىء السحر والشعوذة ومناجاة الارواح ونشر الحقائق العلمية مؤيدة بالادلة العقلية والاقيسة المنطقية. و بعد ما اسهب في ذلك قال والفضل في نجاح المقتطف الى خصب تربة مصر وقابليتها للافكار الحرة .وختم خطبتهُ بشكر جلالة الملك على تشجيعهِ للعلم بكل ضروب التشجيع فقوبلت كلمتهُ النفيسة بتصفيق الاعجاب وستنشر في الجزء التالي من المقتطف

ودعا الرئيس بعد ذلك حضرة شاعر القطرين خليل بك مطران فالقى قصيدتهُ التالية

قصيدة خليل بك مطران

تلك المنارة في المكان العالي ترمي الدجى بشعاعها الجوّال
شيدتماها زينة وهداية للناس من حجج مضين طوال
مرآتها طورية كشافة لغوامض الاشياء والاحوال
عين تطالع سر كل حقيقة وترود كل مظنة بسؤال
وقف النبوغ وراءها مستشرفاً كنه البقاء وغاية الترحال

***

يسمو الى نجم السماء ويثني فيزور نجم الارض في الاذغال
يجتاز اجواز الغيوب فيجتلي فيها شموساً لم يدرن بخال
يرنو الى الذر الدقيق من الثرى فيرى دراري لم تضأ بذبال
بلغي ابتساماً والخضمُّ مقطب والموج فوق حدوده متعالي
فيمُّ وجه الليل عما في الحشى وتصاد من اسدافهن لآلي

***

ما زال يقتنص الاوابد دائباً بحبائل من نورها وحبال
ويعير من حسناتها قلبكما آيات سحر للعقول حلال
فتوافيان القارئين على صدى منهم بما يروي من الاقوال
وتطالعان اولي النهى بطرائف تلج القلوب بلطف الاسترسال
في دفتي سفر تضمن ما غلا من حكمة الاحقاب والاجيال
متجدد عدد الشهور ربيعهُ حلو الجنى وبكل حسن حالي
لو نضدت اوراقهُ من كثرة طالت على متطاول الاجيال

***

انشأتماها للعلوم مجلة كسيت بدائعها فنون جمال
سهرت عيونكما على اتقانها فمن السطور بها سواد ليالي
ومن المدام دم اريق وان بدا متنوع الالوان والاشكال

***

يعقوب في احياء مجد بلاده وبقاء تالدها من الابدال
هو فيلسوف سيرة ومسيرة متطابق الاقوال والافعال
ادنى الرجال الى الكمال ولم يكن في العصر شيءٌ مغرياً بكمال
وفتى المواقف فارس ما فارس في حومة ادبية وسجال
حلاَّل معضلة الامور اذا غدت والوجه قد اعيى على الحلال
هل بين اقطاب الفصاحة مثله سباق غايات بكل مجال
يافرقدي ادب ونبل ادركا اسمى المنى من رفعة وجلال
متآخيين وذاك فضل توافق بطباع خير فيهما وخصال
ليس الشبابُ والشيبُ واحداً رخص الزبرجدُ والزمرد غال

خمسون من خير السنين ضممتما كرماً بهن على نعيم البال
وبذلتما للعلم مجهوديكما ووصلتما الاسحار بالآصال
بحثاً عن الماضي وتقديراً لما يأتي وتقريراً لحكم الحال
يهنيكما شرف المقام وخيره عليا قدركما بغير تعالي
والعيد عيد نصف من مئة مضت في خدمة في مضرب الامثال
عيد بلاد الشرق فيه بلدة ولاهله فيه اشتراك الآل
واذا ذكرنا العيد فلنذكر اخاً لكما بناديه المكان الخالي
لم ينصر العرفان نصرتهُ امرؤ بشمائل خلقت لها وخلال
ان فات عينيه شهادة يومه هذا رآهُ باعين الاشبال
صحب كما شاء الوفاء ثلاثة كانوا لاهل الشرق خير مثال
بدأوا جهادهم وساروا سيرهم يبغون مطلوباً عزيز منال
متعاونين وبالتعاون حققوا في كل مرمى ابعد الآمال
صبراً على الايام حتى اقبلت من كل وجه ايما اقبال
اخلاق جد لا تتم بغيرها في العالمين جلائل الاعمال

***

ليس الكبار من الرجال هم الاولى ضربوا الطلى[1] فدعوا كبار رجال
قد يحسب العز الرفيع مجازف في طرفهِ غيلاً على الرئبال
او يقتحم الموت الجسور وعلهُ قد جرأتهُ عقيدة الآجال
اما الاولى دأبوا وذابوا حسبة لانارة وهدى وكشف ضلال
وشروا براحتهم هناء بلادهم فهمُ لعمري خيرة الابطال
لهم الولاية والقلوب عروشهم ولهم مكانتهم من الاجلال

***

يا من مدحتهما فلم تف مدحتي بلباقة والعذر من اقلالي
قد قام مجدكما كطود شامخ ماذا يثل منهُ لمع الآل
وهل الروي وان تسلسل شافياً كالري من ينبوعهِ السلسال
لا بدع في تقصير شعري دونهُ شتان بين حقيقة وخيال

(١) الاعناق